

مقدمة الطبعة الثالثة عشرة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد رسول الهدى والرحمة المهداة، وبعد: كان لظهور الطبعة الأولى لكتاب «نزهة المتقين شرح رياض الصالحين» للإمام النووي - رحمه الله تعالى - الصدى الكبير لدى أكثر أهل العلم، ورجال التربية، وطلاب المعاهد، فتلقاه الناس بالقبول والاهتمام بدراسته؛ لما لمسوا فيه من متعة في الشرح المبسط، والأسلوب السهل، ومراعاة للأصول التربوية، والوقوف على الفوائد الجمّة التي تضمنها الكتاب، سواء في تخريج الأحاديث، أو شرح المفردات والفوائد المستنبطة من نصوص الأحاديث النبوية في معالجة مشكلات الحياة، والآداب الاجتماعية، وخلاصة الأحكام الشرعية، وترجمة رواية الأحاديث، وفهرستها التي تساعد الدارس إلى معرفة موضع كل حديث من الكتاب، وإلى غير ذلك من الفوائد مما زاد عدد قرائه وطالبيه، والإقبال على مطالعته، الأمر الذي دعا الناشر إلى إعادة طبعه سبع مرات، ولم تتح للمؤلفين فرصة كافية لمراجعة الكتاب بعد طبعته الأولى، وفي كل طبعة كان الناس يتلقونه بشغف بالغ، وتنفذ نسخه بأسرع وقت، وهذا من توفيق الله تعالى وفضله، وبركة أحاديث الرسول ﷺ التي ترشد إلى سعادة الدنيا والآخرة والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وقد منَّ الله تعالى على اثنين من المشاركين في شرح الكتاب أن قدما المدينة النبوية المنورة للتدريس في بعض معاهدها وكانت لهما فرصة طيبة لإعادة النظر في شرح الكتاب ومقابلة نصوص الأحاديث على المراجع المعتمدة والنسخ المنقحة فكان ذلك والحمد لله تعالى. وأضافا في الشرح ما وجداه مناسباً ومفيداً ليوقف القارئ الكريم على ما يجب عليه أن يعرفه من أمور دينه سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق على منهج سلف هذه الأمة التي صلح

أمر دينها ودنياها بهذا الهدى النبوي الشريف، فأعزها الله تعالى وأكرمها برضوانه،
وعسى أن يصلح الله سبحانه حال آخر هذه الأمة كما أصلح أولها. والله ولي
التوفيق.

المدينة النبوية المنورة ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ.

المؤلفون

مقدمة الكتاب :

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، بُعث بالرسالة الخالدة، والشريعة السمحة، التي أنارت للناس طريق الهدى وحذرت من طريق الردى، ونزل عليه الوحي الأمين بالكتاب المبين، وأنطقه الله بالحكمة، وسدده بالوحي، وعصمه من الهوى، قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ فجاء كتاب الله عز وجل منار الرشاد، وطريق السداد، وسبيل السعادة في الحياة، وفي الآخرة مفتاح النجاة، وجاءت سنته ﷺ الدليل لكتاب الله تعالى، والمرشد إلى مقاصده ومراميه، كما جعله الله سبحانه مثلاً يحتذى، وقدوة حسنة ترتجى، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ وأثنى عليه في خُلُقِه بقوله: ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾ فاصطفاه من خير الناس ليكون ﴿بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾، وجعل رسالته نوراً وهدى ورحمة للعالمين قال سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ فجاءت سنته عليه أفضل الصلاة والسلام، تشر الدرر والحكم والمواعظ والآداب والأخلاق والفضائل، وترشد إلى أزكى العبادات، وأقوم المعاملات وأحكم التشريعات في شتى ميادين الحياة، تندفق من معين وحي السماء لأهل الأرض التي أقفرت من المثل والفضائل، وأجدبت من المكارم والأخلاق، فروتها وأحييت القلوب بالإيمان، وغرست في الناس بذور الخير والصلاح، فأثمرت أمة وأبنت، فكانت خير أمة أخرجت للناس؛ تؤمن بالله وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وكانت من المفلحين، فعَمَّ خيرها أهل الأرض ما بين مشرقها ومغربها، تنعم بالهدى والخير، وتحيا حياة كريمة سعيدة، لم يشهد التاريخ عصراً ذهبياً مثل تلك العصور الإسلامية التي حققت للإنسانية كرامتها، تروىها بسقاء الإيمان وتغذيها بالأخلاق، وتسعدّها في حياتها، وتأخذ بها إلى دار الفلاح والنجاة.

وقد اختار الإمام الجليل محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي رحمه الله تعالى باقة من الأحاديث النبوية في مواضيع عديدة في كتاب سماه «رياض الصالحين»، ضمنه نحو ألفي حديث اختارها من كتب الصحاح والكتب المعتمدة في السنة المطهرة، فجاء كتاباً مباركاً تناولته الناس بالقبول والإقبال عليه، كيف لا وهو من ذخائر السنة المشرفة ومن هدي النبوة، فكان له تأثيره البالغ في نفوس الناس في الإصلاح والتوجيه والأخلاق مما زاد الإقبال عليه وعلى دراسته، وقلما يخلو بيت مسلم من هذا الكتاب المبارك، كما عكف الدارسون في المعاهد على تقريره ودراسته، وقد شرحه الإمام محمد بن علان في ثمانية أجزاء في كتابه الذي سماه «دليل الفالحين»، وكان شرحه رحمه الله مؤدياً لحاجة عصره وموفياً بإياه، فجزاه الله عن المسلمين خيراً، وقد لمسنا الحاجة الماسة إلى شرحه شرحاً مدرسياً مناسباً لمقتضيات الظروف الاجتماعية الراهنة، والأساليب التربوية المعاصرة، وخاصة للمعنيين بشؤون التربية والتعليم والتوجيه على جميع المستويات، فعقدنا العزم على القيام بهذا العمل خدمة للمسلمين، وتسهيلاً على الدارسين، ليعم الانتفاع بهذا الكتاب وليقف الناس على كنوز السنة النبوية المطهرة، فيرتشفوا من معيها ويأخذوا منها شراً سائغاً يروي ظمأهم، ويزيلوا عنهم ما علق بهم من سوء في الخلق، أو انحراف في السلوك أو اعتداء على الحق، أو تمرد على الفضيلة، وقمنا بشرح الكتاب مراعين الأمور الآتية:

أولاً: خرّجنا الآيات الكريمة التي أوردها الإمام النووي في أول كل باب، وشرحنا مفرداتها اللغوية.

ثانياً: ذكرنا عقب كل حديث المرجع والمصدر من الكتاب والباب من كتب السنة التي ورد فيها الحديث، وهذا العمل رأيناه ضرورياً لمساعدة الدارس على الرجوع إلى المراجع وأمهات كتب الحديث، وبذلك نكون قد أرشدناه إلى مظان الحديث من الكتب المعتمدة ليقف على أسانيدها وما يتعلق بها.

ثالثاً: أفردنا شرح المفردات اللغوية لكل حديث وأعقبناه بعد تخريج الحديث مباشرة، وأعربنا أحياناً بعض الكلمات التي يحتاج إليها الدارس لتوضيح المعنى المراد، وقد نذكر أسماء الأشخاص المبهمين في متن الحديث.

رابعاً: جمعنا الفوائد التي تضمنها الحديث وربطناها بواقع الحياة، وبيّنا الأحكام المستنبطة منه بأسلوب سهل، ليقف القارئ على فوائد الحديث، والحض

على التأسّي والقدوة بما جاء فيه من فضائل وإرشادات وتوجيهات، والتحذير مما نهى عنه الرسول ﷺ.

خامساً: جعلنا لكل حديث رقمين: الأول في الأعلى يشير إلى رقمه المتسلسل في الباب الذي ورد فيه، والرقم في الأسفل هو رقمه المتسلسل في الكتاب، وذلك تسهيلاً للرجوع إليه أو الإحالة عليه.

سادساً: قد يتكرر الحديث الواحد في عدة أبواب فأشرنا في المرة الثانية إلى الباب الذي سبق وروده فيه مع رقمه ليرجع القارئ إليه في معرفة تخريجه وشرحه، وإذا اقتضى الأمر أحياناً إلى ذكر بعض الفوائد أضفناها عقب الحديث.

سابعاً: وتتميماً للفائدة فقد جمعنا تراجم الرواة وجعلناه قسماً مستقلاً في آخر الكتاب مرتبة حسب حروف المعجم.

ثامناً: وختمنا عملنا بوضع فهرس للكتاب بأوائل الأحاديث، لتسهيل الرجوع إلى الحديث في موضعه من الكتاب.

هذا وقد أفادنا كتاب دليل الفالحين في إخراج هذا الكتاب، كما أفادتنا مراجع كتب السنة المعتمدة والتفسير والتراجم والسيرة والفقہ والمعاجم، فجزى الله عنا مؤلفيها خيراً، وإننا إذ نقدم هذا الكتاب الذي سميناه «نزهة المتقين في شرح رياض الصالحين» نرجو المولى تعالى أن ينفع به الناس، وحسبنا ما قصدنا إليه سائلين الله سبحانه أن يسدد الخطأ ويجعلنا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو ولي التوفيق.

دمشق في ١٢ ربيع الأول ١٣٩٦ هـ

الموافق ١٣ آذار ١٩٧٦ م

المؤلفون

obeikandi.com

ترجمة مؤلف كتاب - رياض الصالحين :

يحيى بن شرف النووي

٦٣١ - ٦٧٦ هـ

نسبه: هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي نسبة إلى نوى وهي قرية من قرى حوران في سورية ثم الدمشقي الشافعي شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه .

مولده ونشأته: ولد النووي رحمه الله تعالى في المحرم من سنة ٦٣١ هـ في قرية نوى من أبوين صالحين، ولما بلغ العاشرة من عمره بدأ في حفظ القرآن وقراءة الفقه على بعض أهل العلم هناك، وصادف أن مر بتلك القرية الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي، فرأى الصبيان يُكرهونه على اللعب وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن، فذهب إلى والده ونصحه أن يفرغه لطلب العلم، فاستجاب له . وفي سنة ٦٤٩ هـ قدم مع أبيه إلى دمشق لاستكمال تحصيله العلمي في مدرسة دار الحديث، وسكن المدرسة الرواحية، وهي ملاصقة للمسجد الأموي من جهة الشرق . وفي عام ٦٥١ هـ حج مع أبيه ثم رجع إلى دمشق .

حياته العلمية: وفي سنة ٦٦٥ هـ تولى مشيخة دار الحديث والتدريس، وكان عمره ٣٤ سنة، وبقي بها حتى توفي وقد تميزت حياة النووي العلمية بعد وصوله إلى دمشق بثلاثة أمور .

الأول: الجد في طلب العلم والتحصيل في أول نشأته وفي شبابه، وقد أخذ العلم منه كل مأخذ، وأصبح يجد فيه لذة لا يعدلها لذة، وقد كان جاداً في القراءة والحفظ، وقد حفظ التنيه في أربعة أشهر ونصف، وحفظ ربع العبادات من المهذب

في باقي السنة، واستطاع في فترة وجيزة أن ينال إعجاب وحب أستاذه أبي إبراهيم إسحق بن أحمد المغربي، فجعله معيد الدرس في حلقة.

الثاني: سعة علمه وثقافته: وقد جمع إلى جانب الجد في الطلب غزارة العلم والثقافة المتعددة، وقد حدث تلميذه علاء الدين بن العطار عن فترة التحصيل والطلب، أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً: درسين في الوسيط، وثالثاً في المهذب، ودرساً في الجمع بين الصحيحين، وخامساً في صحيح مسلم، ودرساً في اللمع لابن جني في النحو، ودرساً في إصلاح المنطق لابن السكيت في اللغة، ودرساً في الصرف، ودرساً في أصول الفقه، وتارة في اللمع لأبي إسحاق، وتارة في المنتخب للفخر الرازي، ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين، وكان يكتب جميع ما يتعلق بهذه الدروس من شرح مشكل، وإيضاح عبارة وضبط لغة.

الثالث: غزارة إنتاجه: اعتنى بالتأليف وبدأه عام ٦٦٠، وكان قد بلغ الثلاثين من عمره، وقد بارك له في وقته وأعانه، فأذاب عصارة فكره في كتب ومؤلفات عظيمة ومدهشة، تلمس فيها سهولة العبارة، وسطوع الدليل، ووضوح الأفكار، والإنصاف في عرض آراء الفقهاء، وما زالت مؤلفاته حتى الآن تحظى باهتمام كل مسلم، والانتفاع بها في سائر البلاد.

ومن أهم كتبه: شرح صحيح مسلم، والمجموع شرح المهذب، ورياض الصالحين، والأذكار، وتهذيب الأسماء واللغات، والأربعين النووية، والمنهاج في الفقه.

أخلاقه وصفاته: أجمع أصحاب كتب التراجم أن النووي كان رأساً في الزهد، وقدوة في الورع، وعديم النظرير في مناصحة الحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويطلب لنا في هذه العجالة عن حياة النووي أن نتوقف قليلاً مع هذه الصفات المهمة في حياته.

الزهد: تفرغ الإمام النووي من شهوة الطعام واللباس والزواج، ووجد في لذة العلم التعويض الكافي عن كل ذلك. والذي يلفت النظر أنه انتقل من بيئة بسيطة إلى دمشق حيث الخيرات والنعيم، وكان في سن الشباب حيث قوة الغرائز، ومع ذلك فقد أعرض عن جميع المتع والشهوات، وبالغ في التقشف وشطف العيش.

الورع: وفي حياته أمثلة كثيرة تدل على ورع شديد، منها أنه كان لا يأكل من فواكه دمشق، ولما سُئِلَ عن سبب ذلك قال: إنها كثيرة الأوقاف، والأملاك لمن تحت الحجر شرعاً، ولا يجوز التصرف في ذلك إلا على وجه الغبطة والمصلحة، والمعاملة فيها على وجه المساقاة، وفيها اختلاف بين العلماء. ومن جوزها قال: بشرط المصلحة والغبطة لليتيم والمحجور عليه، والناس لا يفعلونها إلا على جزء من ألف جزء من الثمرة للمالك، فكيف تطيب نفسي؟ واختار النزول في المدرسة الرواحية على غيرها من المدارس، لأنها كانت من بناء بعض التجار.

وكان لدار الحديث راتب كبير فما أخذ منه فلساً، بل كان يجمعها عند ناظر المدرسة، وكلما صار له حق سنة اشترى به ملكاً ووقفه على دار الحديث، أو اشترى كتباً فوقها على خزانة المدرسة، ولم يأخذ من غيرها شيئاً. وكان لا يقبل من أحد هدية ولا عطية إلا إذا كانت به حاجة إلى شيء، وجاءه ممن تحقق دينه. وكان لا يقبل إلا من والديه وأقاربه، فكانت أمه ترسل إليه القميص ونحوه ليلبسه، وكان أبوه يرسل إليه ما يأكله، وكان ينام في غرفته التي سكن فيها يوم نزل دمشق في المدرسة الرواحية، ولم يكن يتغيى وراء ذلك شيئاً.

مَنَاصِحَتُهُ الْحُكَّامُ: لقد توفرت في النووي صفات العالم الناصح الذي يجاهد في سبيل الله بلسانه، ويقوم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو مخلص في مناصحته، وليس له أي غرض خاص أو مصلحة شخصية، وشجاع لا يخشى في الله لومة لائم، وكان يملك البيان والحجة لتأييد دعواه.

وكان الناس يرجعون إليه في الملمات والخطوب ويستفتونه، فكان يقبل عليهم ويسعى لحل مشكلاتهم، كما في قضية الحوطة على بساتين الشام:

لما ورد دمشق من مصر السلطان الملك الظاهر بيبرس بعد قتال التتار وإجلانهم عن البلاد، زعم له وكيل بيت المال أن كثيراً من بساتين الشام من أملاك الدولة، فأمر الملك بالحوطة عليها، أي بحجزها وتكليف واضعي اليد على شيء منها إثبات ملكيته وإبراز وثائقه، فلجأ الناس إلى الشيخ في دار الحديث، فكتب إلى الملك كتاباً جاء فيه: «وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على أملاكهم أنواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها، وطلب منهم إثبات لا يلزمهم، فهذه الحوطة لا تحل عند أحد من علماء المسلمين، بل من في يده شيء فهو ملكه لا يحل الاعتراض عليه ولا يكلف إثباته» فغضب السلطان من هذه الجرأة عليه وأمر بقطع رواتبه وعزله عن مناصبه، فقالوا له:

إنه ليس للشيخ راتب وليس له منصب. ولما رأى الشيخ أن الكتاب لم يفد، مشى بنفسه إليه وقابله وكلمه كلاماً شديداً، وأراد السلطان أن يبطش به فصرف الله قلبه عن ذلك وحمى الشيخ منه، وأبطل السلطان أمر الحوطة وخلص الله الناس من شرها.

وَفَاتِهِ: وفي سنة ٦٧٦ هـ رجع إلى نوى بعد أن رد الكتب المستعارة من الأوقاف، وزار مقبرة شيوخه، فدعا لهم وبكى، وزار أصحابه الأحياء وودعهم، وبعد أن زار والده زار بيت المقدس والخليل، وعاد إلى نوى فمرض بها وتوفي في ٢٤ رجب. ولما بلغ نعيه إلى دمشق ارتجت هي وما حولها بالبكاء، وتأسف عليه المسلمون أسفاً شديداً، وتوجه قاضي القضاة عز الدين محمد بن الصائغ وجماعة من أصحابه إلى نوى للصلاة عليه في قبره، ورثاه جماعة. وهكذا انطوت صفحة من صفحات علم من أعلام المسلمين، بعد جهاد في طلب العلم، ترك للمسلمين كنوزاً من العلم، لا زال العالم الإسلامي يذكره بخير، ويرجو له من الله تعالى أن تناله رحماته ورضوانه.

رحم الله الإمام النووي رحمة واسعة، وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

مراجع الترجمة: البداية والنهاية، مرآة الجنان، الأعلام، طبقات الشافعية، النووي: للطنطاوي.

مقدمة الإمام النووي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، مُكَوِّرِ^(١) اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ، تَذِكِرَةً لِأُولِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، وَتَبْصِرَةً لِدَوِيِّ الْأَلْبَابِ وَالْإِعْتِبَارِ^(٢)، الَّذِي أَيْقَظَ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ أَصْطَفَاهُ^(٣) فَزَهَّدَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ^(٤)، وَسَعَّلَهُمْ بِمُرَاقَبَتِهِ وَإِدَامَةِ الْأَفْكَارِ، وَمُلَازِمَةِ الْإِتْعَاطِ وَالْإِدْكَارِ^(٥)، وَوَفَّقَهُمْ لِلدُّوْبِ^(٦) فِي طَاعَتِهِ، وَالتَّاهِبِ لِذَارِ الْقَرَارِ^(٧)، وَالْحَذَرِ مِمَّا يُسْخِطُهُ وَيُوجِبُ دَارَ الْبَوَارِ^(٨)، وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى ذَلِكَ مَعَ تَغَايُرِ الْأَحْوَالِ وَالْأَطْوَارِ^(٩). أَحْمَدُهُ أَبْلَغَ حَمْدٍ وَأَزْكَاهُ، وَأَشْمَلُهُ وَأَتْمَاهُ^(١٠)، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْبَرُّ^(١١) الْكَرِيمُ، الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، وَحَبِيبَهُ وَخَلِيلَهُ، الْهَادِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،

(١) من التكوير وهو إدارة الشيء على الشيء، والمراد يدخل الليل على النهار وبالعكس.

(٢) الأبواب: جمع لب، وهو العقل، والاعتبار: التفكير والنظر في حكمة الأشياء.

(٣) اختاره.

(٤) أي لم يجعلها غايتهم وقصدهم وإن حصلوها وجمعوها.

(٥) الذكر بعد النسيان والتنبه بعد الغفلة.

(٦) الجد والمداومة.

(٧) الحياة الدائمة في الجنة.

(٨) الهلاك في جهنم.

(٩) جمع طور وهو التارة، والمراد الاختلاف في الخلق والخلق.

(١٠) أكثر نماء ونفعاً للمحامد.

(١١) وهو صفة مشبهة من البر.

وَالدَّاعِي إِلَى دِينٍ قَوِيمٍ . صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَآلِ كُلِّ، وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ .

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾^(١) . وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقُوا لِلْعِبَادَةِ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْإِعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَهُ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ حُطُوظِ^(٢) الدُّنْيَا بِالزُّهَادَةِ، فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ^(٣) لَا مَحَلَّ لِإِخْلَادٍ^(٤)، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنَزِلَ حُبُورٍ^(٥)، وَمَشْرَعُ أَنْفِصَامٍ^(٦) لَا مَوْطِنَ دَوَامٍ، فَلِهَذَا كَانَ الْأَيْقَاطُ^(٧) مِنْ أَهْلِهَا هُمُ الْعِبَادُ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فِيهَا هُمُ الزُّهَادُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٨) . وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :
إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطْنَا^(٩) طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَةَ^(١٠)

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦ - ٥٧ .

(٢) جمع حظ، وهو النصيب، والمراد الترفه المعتاد الزائد على الحاجة .

(٣) ذهاب وفناء .

(٤) خلود وبقاء .

(٥) فرح وسرور .

(٦) مطلق انقطاع .

(٧) جمع يقظ، وهو من كان فيه معرفة وفطنة .

(٨) سورة يونس: الآية ٢٤ . زخرفها: زينتها وحسنها بظهور الزهور والنبات على

ظهرها . قادرون عليها: متمكنون من تحصيل ثمارها . أمرنا: قضاؤنا .

حصيداً: محصوداً، أي كأنها لم تثمر ولم تنبت .

(٩) جمع فطن وهو من له عقل ونظر .

(١٠) جمع فتنة وهي الاختبار والامتحان، أي خافوا عدم النجاح فيها .

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَهَا لَيْسَتْ لِحِيٍّ وَطَنًا
جَعَلُوهَا لُجَّةً^(١) وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُمْنًا

فَإِذَا كَانَ حَالُهَا مَا وَصَفْتُهُ، وَحَالُنَا، وَمَا خُلِقْنَا لَهُ، مَا قَدَّمْتُهُ: فَحَقُّ^(٢) عَلَى
الْمُكَلَّفِ أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِهِ مَذْهَبَ الْأَخْيَارِ، وَيَسْلُكَ مَسْلَكَ أَوْلِي النَّهْيِ^(٣)
وَالْأَبْصَارِ، وَيَتَأَهَّبَ لِمَا أَسْرَتْ إِلَيْهِ، وَيَهْتَمَّ لِمَا نَبَّهَتْ عَلَيْهِ. وَأَصُوبُ طَرِيقٍ لَهُ
فِي ذَلِكَ، وَأَرْشُدٌ مَا يَسْلُكُهُ مِنَ الْمَسَالِكِ: التَّأَدُّبُ^(٤) بِمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّنَا سَيِّدِ
الْأَوْلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَكْرَمِ السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٥)
وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ
أَخِيهِ»^(٦) وَأَنَّهُ قَالَ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»^(٧) وَأَنَّهُ قَالَ: «مَنْ دَعَا
إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ
شَيْئاً»^(٨) وَأَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا
خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»^(٩). فَرَأَيْتُ أَنْ أَجْمَعَ مُخْتَصِرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ
الصَّحِيحَةِ، مُشْتَمِلًا عَلَى مَا يَكُونُ طَرِيقًا لِصَاحِبِهِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَمُحْصَلًا لِأَدَابِهِ

(١) لجة البحر معظمه، أي جعلوا الدنيا بمثابة البحر الذي يتوصل بالعبور فيه إلى المقصد.

(٢) وجب وثبت.

(٣) جمع نهية وهي العقل.

(٤) الأخذ والتخلق.

(٥) سورة المائدة: الآية ٢.

(٦) جزء من حديث رواه مسلم.

(٧) رواه مسلم وأبو داود.

(٨) رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة.

(٩) متفق عليه، وحمير: يسكون الميم جمع أحمر، والنعم الإبل، وهو مثل يضرب

لكل نفيس.

الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ، جَامِعاً لِلتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ آدَابِ السَّالِكِينَ: مِنْ أَحَادِيثِ الزُّهْدِ، وَرِيَاضَاتِ النُّفُوسِ، وَتَهْدِيْبِ الْأَخْلَاقِ، وَطَهَارَاتِ الْقُلُوبِ وَعِلَاجِهَا، وَصِيَانَةِ الْجَوَارِحِ وَإِزَالَةِ أَعْوَجَاجِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعَارِفِينَ.

وَأَتَرِمُ فِيهِ أَلَّا أذْكَرَ إِلَّا حَدِيثًا صَحِيحًا^(١) مِنْ الْوَاضِحَاتِ، مُضَافًا إِلَى الْكُتُبِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَاتِ^(٢)، وَأَصْدَرُ الْأَبْوَابِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيْزِ بِآيَاتِ كَرِيْمَاتٍ، وَأَوْشَحَ^(٣) مَا يَحْتَاجُ إِلَى ضَبْطٍ أَوْ شَرْحٍ مَعْنَى خَفِيٍّ بِنَفَائِسَ^(٤) مِنْ التَّنْبِيْهَاتِ. وَإِذَا قُلْتُ فِي آخِرِ حَدِيثٍ: «مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ»: فَمَعْنَاهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَأَرْجُو إِنْ تَمَّ هَذَا الْكِتَابُ أَنْ يَكُونَ سَائِقًا لِلْمُعْتَمِدِ بِهِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، حَاجِزًا لَهُ عَنِ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَهْلِكَاتِ^(٥). وَأَنَا سَائِلٌ أَخَا أَنْتَفَعِ بِشَيْءٍ مِنْهُ أَنْ يَدْعُو لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَمَشَايِخِي، وَسَائِرِ أَحْبَابِنَا، وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ. وَعَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ اعْتِمَادِي، وَإِلَيْهِ تَقْوِيْضِي وَأَسْتِنَادِي، وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيْزِ الْحَكِيمِ.

(١) ليس المراد هنا الصحيح في اصطلاح علماء الحديث، وهو ما رواه العدل الضابط عن مثله إلى رسول الله ﷺ من غير شذوذ ولا علة قاذحة، وإنما المراد ما يقبل في الاحتجاج به عند العلماء وهو الحسن والصحيح.

(٢) المراد الكتب الستة وهي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والسنن الأربعة لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وغيرها.

(٣) من الوشاح وهو جلد أحمر عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها، والكلام هنا استعارة.

(٤) جمع نفيسة، وهي ما يرغب فيه من علم أو مال أو نحو ذلك.

(٥) جمع مهلكة، والمراد المخالفات التي تسبب العذاب لفاعلها.